

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences



دور الاعلام في دفع الفرد الى الجريمة والسلوك العدواني

دحان ولد احمد محمود

الرياض

1408 هـ - 1988 م

دور الاعلام في دفع الفرد الى الجريمة والسلوك العدواني

دحان ولد أحمد محمود(*)

قال تعالى :

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾^(١).

إن الحاجة الى معالجة مشكلة الجريمة بجدية أصبحت أشد إلحاحاً في عصرنا هذا الذي أدت فيه سرعة التغير أثر القفزة التقنية «التكنولوجية» الهائلة الى ترابط دول العالم عن طريق الاتصال بشتى أنواعه

فلو اقتصر سردود هذه الوسائل الاتصالية على منافع اقتصادية وثقافية وعلمية وتكنولوجية وسياسية وغيرها، لكان أمرها محموداً مطلقاً، ولكن شاءت القدرة الإلهية في هذه الدنيا ألا يوجد فيها شيء - إلا وله إيجابيات وسلبيات.

(*) الأمين العام المساعد لمجلس وزراء الداخلية العرب. تونس.

١ سورة النور الآية : ١٩

فمن مساوئ ترابط العالم سيطرة الشمال على الجنوب وجرائم الحرب وانتقال الأمراض والأوبئة والنماذج الجديدة للجريمة والانحراف، لم تعد الجريمة وبعض أنماطها ذات طابع محلي أو قومي بل تعدى انتشارها الى النطاق الدولي للجريمة المنظمة «Organized Crime» وتروج الجريمة المنظمة نماذج الانحراف والاجرام بشتى أنواعه. ولعل جرائم المخدرات والارهاب الدولي من أوضح الأدلة على انتشار الجريمة وعلى شدة احكام تنظيمها.

- التكتلات والحرب الحضارية :

وفي ظل هذا التطور السريع وترابط العالم بصيغة لا رجعة فيها يحاول كل كيان وتحاول كل قومية أن تهيمن على القوميات الأخرى من الناحية الثقافية لتوفير الأرضية المناسبة لرواج نماذج بضاعتها ولتقدم اقتصادها ولتكون قائدا أو طليعة في عالم صائر الى حضارة واحدة ونموذج واحد وعلى المدى المتوسط أو القريب صائر لا محالة الى بضع تكتلات تتنافس اقتصاديا وتتصارع ثقافيا وربما عسكريا لفرض نماذجها وقيمها وبالتالي لفرض قيادتها في بناء الحضارة الموحدة للعالم.

ومن تأمل التاريخ - كما نصح بذلك ابن خلدون - فسوف يجد في تاريخ أوروبا خلال القرنين الماضيين ما يبرهن

على ما قدمناه . وفي هذا الصراع المستمر تحاول كل قومية أن تحسن وجهها وان تنقل الى الآخرين ما يجيبها اليهم ويبغض اليهم ما سواها .

وتوكل كل مجموعة أو تكتل أو قومية الى وسائل الاتصال الجماعي «Mass Media» هذه المهمة الصعبة

وبالفعل . فإن المهمة ليست سهلة . فالصيرورة الى ثقافة موحدة وسرعة تطور وسائل النقل والاتصال تجعل كل انحاء المعمورة أرض معركة ثقافية ، وتجعل كل قوميات المعمورة داخلية لا محالة في الصراع ، ويظهر من هذا أن الحياذ لا يمكن وأن أحدا لا يستطيع أن يقعد في معزل يتفرج على صراح الحضارات

وكان من المفروض أن تكون لهذا الصراع - على مستوى المعمورة - قواعد ثابتة يحترمها الكل ، لأن الصراع الحضاري في حد ذاته شيء حسن وإيجابي اذ يدفع الى المزيد من الرقي والتقدم البشري ، ولقد حاولت منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم «UNESCO» في نهاية السبعينات طرح بعض الأسس لتنظيم الاعلام الدولي - Nouvel Ordre Mondial del'Informa- tion وتحاول منظمة الثقافة والعلوم العربية الآن وضع بعض القواعد في الاعلام العربي ولكن هذه المحاولات لا يمكن أن تكون لها جدوى الا اذا ارتضتها القوى العظمى والتكتلات

الموجودة (الكتلة الشرقية والصين وأوروبا والولايات المتحدة) وتحاول المجتمعات والقوميات الأخرى أن تتكفل لتواجهه بصفة أكثر فعالية خطر اندثار حضاراتها ولكن الذين سبقوهم للتكفل وهم الذين يطلق عليهم اسم «الشمال» لا يتركون لهم مجالا لذلك، فحربهم الحضارية المتعددة الوسائل لن تضع أوزارها الا بعد النصر التام والسيطرة الكاملة على الاقتصاد والثقافة والسياسة الدولية.

وكما قلنا. فمن المعلوم أن وسائل الاتصال الجماعي Mass Media من أهم أسلحة التكتلات في حربهم الحضارية هذه.

وإذا علمنا أن حرب الشمال مستمرة لا تتوقف طرفه عى وأن الجنوب هو الآن أرضية الصراعات بين الكتل الشمالية من جهة، ومن جهة ثانية هو هدف لكل من هذه الكتل فلماذا لم تندثر الحضارات الجنوبية بالمرّة؟ ولماذا لا يزال الجنوب يطمح الى كسب المعركة النهائية وهو لم يدخل المعركة بعد، أو على الأصح وهو ينهزم الآن في كل المعارك؟ والجواب عليه من وجوه عدة:

أولها: أن الصراعات بين الكتل الشمالية وان كانت تقع في الجنوب لم يتحدد مصيرها بعد ولا تزال شدتها بين الكتل

الشمالية نفسها وان كانت دماؤنا هي التي تزهق واقتصادنا هو الذي ينزف وقيمنا هي التي تمزق.

وثانيها: أن الكتل الشمالية قامت على أسس مادية بحتة (الاشتراكية والرأسمالية) والصراع اليوم حضاري. والحضارة لها معنى أوسع مما بنت عليه الكتل الشمالية سياساتها فالثقافة هي التي يجب أن تقود المعركة الحضارية، فإن قالوا ان ما لينوسكي أثبت:

- إن الانجاز الثقافي ماهو الا تدعيم آلي وتلقائي للفسولوجيا لأنه مرتبط بشكل مباشر بإشباع الاحتياجات البيولوجية.
- وإن كل ثقافة يجب أن تشبع الاحتياجات البيولوجية للانسان مثل التغذية والتناسل والحماية من قسوة الظروف المناخية ومن الحيوانات المفترسة.

نقول نعم. وإغما يقول ما لينوسكي ذلك - كما قال الأستاذ عاطف وصفي - لأنه يريد أن يقول: إنها ذاتها الظروف التي يجب أن يعيها المجتمع اذا كان يريد البقاء ويدعم ذلك بفكرته، إن التنظيم الاقتصادي والقانوني والتربية والسحر والدين والمعرفة والفن هي حاجات ضرورية من أجل بقاء الانسان.

فمحاولة الشمال بناء حضارة عالمية علمانية مادية بحتة خطأ كما أثبتته علماء الشمال أنفسهم وما لينوسكي سن أبرزهم.

فهذا الخطأ الذي ارتكبه الشمال هو الذي يبشرنا اذا ما وقفنا في بناء تكتلنا ، بكسب المعركة النهائية، وتاريخ أمتنا شاهد على صحة ما نقوله ، اذ كدنا قبل اثني عشر قرنا أن ننشر حضارتنا على العالم بأسره ولم تكن المواصلات والنقل يومئذ كما هي اليوم .

غير أن بناء كتلتنا لا يزال صعبا اذ يستهدفنا الشمال وتتصارع الكتل الشمالية بواسطتنا ، تدفعنا الى تخريب بيوتنا بأيدينا .

وثالثها : إن أية حضارة لا يمكنها - وان انتصرت - أن تستوعب الحضارات الأخرى ولذلك فوضع الجنوب سي- ، ولكن ليس خفيافا اذ لا يزال أماننا امكانية الحيلولة دون الهيمنة على الأقل من الناحية الزمنية .

ولقد انتهزت قوى الشر في الكتل الشمالية عدم وجود قواعد سليمة للصراع الحضاري لتروج بدورها عبر وسائل الاتصال الجماعي «Mass Media» نماذج الجريمة والانحراف والسلوك العدواني ليتسنى لها انشاء الأرضية الملائمة لبث نماذج الجريمة التي تستفيد منها كالمخدرات وغيرها .

- دور الاعلام في الحرب الحضارية :

فالصراع الحضاري قائم على قدم وساق ودور الاعلام فيه يحتل الصدارة ولقد لاحظ الأستاذ أحمد ولد الطلبة (أن

وسائل الاعلام في العصر الحديث تمثل قوة ذات تأثير مغناطيسي سريعة النفاذ الى عقول الناس تكمل أحيانا أو تفوق تأثير التربية والتعليم)، ووسائل الاتصال الجماعي المعتمدة على التقدم التقني «التكنولوجي» في مجال الطباعة والنشر للكتب والمجلات والصحافة وايضا في مجالات الاذاعة والتلفاز وصناعة السينما الأثر العميق في تطور المجتمعات. ولا يعني ذلك أن عامل الاعلام المعتمد على «التكنولوجيا» الحديثة هو المتغير الاساسي في سببية الجنوح أو الاجرام، بل هو من العوامل المتابعة «Alternative» التي تعتمد على غيرها من العوامل والذي يجعل من السلوك الاجرامي أمرا سهلا المنال في تعلمه للفئات الاجتماعية المهيئة للاستجابة الاجرامية أو المنحرفة نتيجة لأوضاع متناقضة نسبيا في المجتمع

ولاحظ الدكتور عبدالمتعال: انه لا يخفى علينا ان وسائل الاتصال الحديثة بمختلف انواعها تتدخل بشكل أو بآخر في تكوين اتجاهات الأحداث والشباب في مجتمعنا المعاصر نحو مواقف الحياة الاجتماعية، وأن هذه الاتجاهات قد تختلف تماما عن اتجاهات ذويهم أو مدرسيهم أو الجيل السابق الذي يقف مذهولا حيال آراء وأفعال تعبر عن تمرد للأحداث والشباب وقد يصف الجيل السابق آراء الشباب والأحداث وأفعالهم بأنها منحرفة تدعو الى تجريمها قبل أن يفلت زمام الموقف من الجيل السابق.

ولاشك أن أنماط السلوك المنحرف والاجرام التي تبتدع في مجتمع ما لا تلبث أن تصبح في محيط معرفة مختلف فئات سكان العالم مهما تباينت مستويات هذه الفئات الثقافية ومن ثم فإن تعلم أنماط السلوك المنحرف والاجرام أو على الأقل الاحاطة بها أصبح في متناول الجميع عبر وسائل الاعلام.

- دور الاعلام في دفع الفرد الى الجريمة والسلوك العدواني:

وقد اطلعت مؤخرا على دراسة قدمها الدكتور أحمد الربابعة حول «أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد الى ارتكاب الجريمة» رأيت فيها أساسا طيبا لابداء بعض الأفكار والملاحظات ذات العلاقة بالموضوع ولذلك كانت وقفتي عند هذه الدراما متأنية

ويظهر من دراسة الدكتور الربابعة والتي قال فيها: (إن مجتمعنا يتألف من السجناء المحكومين الذين صدرت ضدهم أحكام بالسجن لمدة مختلفة في ثلاثة أقطار عربية هي: «الأردن، المغرب، والسودان» على اعتبار أن السجناء في هذه الأقطار الثلاثة تمثل عينة ممثلة لجميع السجناء في المجتمع العربي).

(إن للاعلام الأثر الكبير في دفع الفرد الى الجريمة والسلوك العدواني عكس ما قاله الدكتور: بأن هذه الدراسة

تظهر أن البرامج التي لها صلة واضحة بتقوية السلوك الانحرافي وتكوين ميول واتجاهات واضحة نحو الأفعال الاجرامية كانت نسبة متابعتها قليلة نسبيا). هذا ما قاله الأستاذ الربايعة والاعتراض عليه من وجوه نذكرها بعد الجدول رقم (٩٢) من دراسة الربايعة.

الجدول (٩٠)

توزيع أفراد العينة حسب البرامج التلفزيونية التي يشاهدونها

نوع البرنامج	النسبة المئوية
البرنامج الديني	٪١٤
البرنامج الحربي	٪٦
البرنامج الشرطي «البوليبي»	٪١٣
البرنامج الاجرامي	٪٤
برامج الجنس	٪٤
برامج ترفيهية	٪٢٣
برامج ثقافية	٪٢٤
غيرها	٪١٢

(*) أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد الى ارتكاب الجريمة. الدكتور أحمد الربايعة. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. ١٤٠٤هـ.

ص: ٢٣٤

يلاحظ من البيانات التي اشتمل عليها الجدول السابق أن حوالي ٢٥٪ من أفراد العينة كانوا يهتمون بمشاهدة برامج لها صلة قوية بتشكيل أنواع من السلوك.

الوجه الأول: يفهم من قول الدكتور الربابعة (البرامج التي لها صلة بتقوية السلوك الانحرافي وتكوين الميول والاتجاهات الاجرامية، إنه يعني برامج الجنس ٤٪ والبرنامج الاجرامي ٤٪ فإن وافقنا على ذلك. كانت النسبة ٨٪ وذلك لا يمكن أن يعتبر قليلا من طرف من يجيب عليه أن يقلل من تفشي الجريمة.

الوجه الثاني: أنه من الواضح أن البرنامج الحربي ٦٪ في عالم أصبح يستعذب الخطر ويعيش تحت مظلة الفناء المدمر للقوى النووية الكامنة في السماء وأعماق المحيطات وباطن الأرض والفضاء الخارجي مستعدة دائما للانقضاض على الأرض لتبيد الانسان، له لا محالة أثر سلبي في عقول الجانحين الى الجريمة والانحراف اذ يعلمهم كيف ويشجع ميولهم الى العنف.

الوجه الثالث: إنه يجري على البرنامج الشرطي «البولييسي» نفس الحكم. اذ يعلم الجانح كيف يدبر الفعل الاجرامي وكيف ينجو من العقوبة، فلقد أصبحت النسبة بعد اضافة هذين البرنامجين ٢٧٪ وذلك ليس بالقليل، وهي البرامج التي قال عنها الربابعة أن لها صلة قوية بتشكيل أنواع من السلوك الاجرامي

الوجه الرابع : أن البرامج الترفيهية والثقافية كثيرا ما تكون منتجة في الخارج ، وكثيرا ما تكون ذات طابع محبب للعصيان والفسوق والتمرد على المجتمع ومبغض للحضارة والثقافة العربية والقيم الاسلامية، ولقد بسطت في بداية هذه الدراسة الكلام عن الصراع الحضاري مما يغني عن اعادته هنا .

ومن جهة أخرى . فإن هذه البرامج وان كانت انتاجا عربيا فكثيرا ما تكون في حقيقتها ترجمة للبرامج الشمالية مع التصرف في الأسماء والأماكن دون الخروج عن الخواطر والمشاعر والأفكار، ولذلك فإنها كثيرا ما تحمل صورة غير حقيقية عن مجتمعنا

وهذه البرامج ربما كانت أنجع وسيلة وجدها الشمال لتحقيق غاياته في ترويج النزوع الى الجنس والاغتصاب وانحلال الأخلاق وتهيئة المجتمع العربي للسيطرة الشمالية بادخال الفساد وأساليب الغواية وبمحاولة تدمير قيمه

الوجه الخامس : هو قول الدكتور الربابعة (غيرها ١٢٪) والظاهر أن نشرة الأنباء والترويجيات التجارية يدخلان في هذه النسبة، ومن المعلوم أن الإثارة والجنس أصبحتا أهم الركائز التي يستند اليها الاعلام الدولي بصفة عامة والاعلام العربي بصفة خاصة وبشكل رهيب بعد النكسة .

فالنبا الأول في كل وسائل الاعلام غالبا ما يكون عن الارهاب والعنف بشتى أنواعه.

ولقد كان من أثر هذا التصرف الاعلامي أن نشأت في نفوس قارئى الصحف والمجلات ومستمعي الاذاعات ومشاهدي التلفاز في البلاد العربية تلك العادة السيئة التي لا تهتم بوسائل الاعلام اذا لم تكن تحمل المثير والغريب، ولما كان المثير والغريب في طبيعة الأمور والحياة هو العارض الذي يحدث بين آن وآخر، فقد أصبح ترقبه وانتظاره عاملا خطيرا يدعو رجال الاعلام الى تصيد الأحداث. وأحيانا الى التحريف والتلفيق وتجميل المنكرات وارصاد من حارب الله ورسوله وهكذا تحول الاعلام الدولي الى اعلام الاثارة والجنس من خلال تقديم الأخبار المثيرة والصور الصارخة.

والوجه السادس: أن الدكتور الربابعة كان قد لاحظ (الجدول رقم ٨٤) أن (٦٠٪) من المجرمين الذين عنتهم الدراسة يقضون أوقات فراغهم إما في السينما (١٧٪) أو في المنزل أي تحت التأثير المستمر لوسائل الاتصال الجماعي. اذ المعلوم أن أغلبية الناس في بيوتهم كثيرا ما يكون أحدهم إما يشاهد التلفاز أو يسمع المذياع «الراديو» أو يقرأ الصحف والمجلات. فيظهر مما بسطناه أن وسائل الاتصال الجماعي لها تأثير كبير في دفع الفرد الى الجريمة والسلوك العدواني نظرا لدراسة الدكتور أحمد الربابعة.

ومن الواضح أيضا أن أكثر وسائل الاتصال الجماعي تأثيرا التلفاز لربطها السمع بالبصر ولدخولها البيوت.

ومن الدوافع الى الخوف والحذر كون التلفاز سيصبح بعد فترة وجيزة مثل «الراديو»، وذلك بسبب التطور التكنولوجي السريع أي أنه بعد فترة وجيزة سيكون في امكان كل فرد أن يختار أية محطة ارسال ولو بعيدة المسافة ويتفرج على برامج البلد الذي يختاره مهما كان البعد الجغرافي لذلك البلد، تماما مثل الراديو اليوم. وقد لاحظ الأستاذ أحمد ولد الطلبة (أن التلفاز يأسر المشاهد لمدة لا يقضيها في القراءة ولا الاستماع ومع الوقت تنشأ لدى المرء ثقة مطلقة في كل ما يشاهد) وهذا ما تفوق به التلفاز على وسائل الاتصال الجماعي الأخرى ويجعله أكثرها تأثيرا على الأفراد.

ويتابع الأستاذ الطلبة فيقول: ان التلفاز هو أول وسيلة يتعرف عليها الطفل من وسائل الاعلام وسرعان ما يتكون لديه ذوق خاص وميول خاصة تزرع في ذهنه المثل والقيم الأولى خارجا عن محيط أسرته.

فالتلفاز يحدث علاقات جديدة ويمارس تأثيرا على الناس لا مجال لمقارنته بالوسائل الأخرى، فهو أكثر الوسائل فعالية وتأثيرا لوصوله الى جمهور غير محدود ولكونه ينقل الأحداث نقلا حيا حتى ليتوهم المرء المشاركة بنفسه في الأحداث

- آفاق:

إذا علمنا أن تداخل الثقافات مع ما يحويه من تكثيف الاتصالات مع الشمال أمرا لا مفر منه وإن الحرب الحضارية لن تزداد الا عنفا وان التطور «التكنولوجي» مستمر فلا مناص من مواجهة الواقع المتمثل في الصراع المحتدم بين طلائع الزحف الحضاري الحديث بخيره وشره والفلول الصامدة من القيم والعادات والتقاليد الموروثة بمزاياها وعيوبها، ومن الداعي الى المزيد من الحذر أن الحضارات الشمالية التي تسيطر على الموقف الاعلامي لم تفلح حتى الآن في تفشي الجريمة في مجتمعاتها ولقد نقل ماينرس أن معدل جرائم القتل والسطو والاعتصاب والسرقة في الولايات المتحدة رائدة التدابير العلاجية الحديثة ارتفع من ٥١٤,٧ لكل ١٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٤٠م الى ٤٨٢١,٤ في سنة ١٩٧٤م مما يدل على سفاهة هذه التدابير الحديثة اذ لم تستند على قيم وأخلاق تنبذ الجريمة

ومن جهة أخرى. فالانهيار الاقتصادي والثقافي في البلدان العربية لا يدفع الى التفاؤل اذ بدأت هجرة بعض المجلات والصحف الى الشمال وهاجر كثير من أعلام الإعلام العربي الى الشمال وأصبحوا يروجون أفكار ونماذج الشمال في أعمالهم الاعلامية، ومن المعلوم ان مجلات من اهم مجلات العرب تصدر الآن في باريس وفي لندن وتبث هذه الصحافة

المهاجرة النماذج الشمالية لأنها صارت صحافة شمالية ناطقة بالعربية لتمرکزها في الشمال ولاعتمادها على نفس التكنولوجيا ونفس المصادر المالية

ومن المعلوم أن بعض أرباب الاعلام العربي لما رأوا أن الصهيونية تسيطر على إعلام الغرب حاولوا ان ينافسوها وأن يخلقوا داخل الاعلام الغربي تيارا يخضع لهم.

ولا أظن أن الذي فعلوه هو أنجع السبل لتحقيق هذا الهدف النبيل بل كان الأولى أن يصلحوا الاعلام العربي ويسيطروا على الموقف الاعلامي داخل الأراضي العربية قبل محاولة الانتشار الى العالم الخارجي وهذه هي سنة الرسول (ﷺ) وسنة أصحابه رضوان الله عليهم ولقد كانوا أسوة حسنة

والعالم العربي بالاضافة الى تعرضه للغزو الحضاري الشمالي يتعرض لكونه لب الأمة الاسلامية لتيارات دينية متناطحة تتسلل عبر وسائل الاتصال الجماعي مدعمة من طرف قوى الشمال وجميع قرى الشر في محاولتها لاطفاء نور الله وزعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع العربي المسلم، وكثيرا ما تعتمد هذه التيارات على مجموعات من الوافدين على العالم العربي في ترويج أفكارها وتعاطي منتجاتها الاعلامية .

وهذا الخطر يجب أن يحظى باهتمام خاص من طرف الحكام والباحثين وعلماء الشريعة الاسلامية ويجب أن تحظى

محاربته بتغطية اعلامية واسعة، ولقد أُنذر الرسول عليه الصلاة والسلام أن الفتنة تأتي من ها هنا وبشرنا أن الغلبة تكون في النهاية لأهل الحق وهذا اذا ما رعوا ما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وعملوا على قلب واحد حتى يتمكنوا من السيطرة التامة على البث الاعلامي داخل الأرض العربية.

وتروج. هذه التيارات عبر وسائل الاعلام فتاوى ذات طابع ديني مزيف تبيح التمرد والارهاب والعدوان على ممتلكات الناس وأعراضهم وحتى دمائهم مما له الأثر المخيف في تفشي الجريمة وجنوح مناصري تلك التيارات الى الجريمة بشتى أنواعها

ولابد هنا. أن نقف عند الجريمة والقانون والسنن والاجتماعية، فالقانون يجرم أشياء قد لا يجرمها المجتمع ومن الملحوظ أنه كلما تباعد ما يجرمه القانون من الضبط الاجتماعي غير الرسمي المتمثل في العادات والقيم والسنن الاجتماعية كلما ازدادت الجريمة.

فهذه التيارات الدينية المتطرفة تعمل على ترسيخ قيم وعادات تحل ما يجرمه القانون في بلادنا العربية، ومعلوم أن معظم القوانين العربية مأخوذة من الشريعة الاسلامية الغراء، شأن هذه التيارات وشأن القوى الشمالية في ذلك سواء،

فكلهم يحاول جهده أن يوسع الهوة بين الضبط الشرعي والضبط الاجتماعي، وهذا من أكبر دوافع تفشي الجريمة والسلوك العدواني إذ يتوقع زيادة تكرار الأفعال الاجرامية كلما اتسعت الهوة بين نوعي الضبط ويعني تضيق الهوة بين الضبط الرسمي وغير الرسمي احتمال نقصان معدل الجرائم، وهذه التيارات تباعد بين التصور الفكري لدى المشرع المأخوذ من الشريعة الاسلامية، والتصور الفكري لدى المجتمع المأخوذ من وسائل الاتصال الجماعي الخاضعة لتفكير لا يعتمد على نفس الأسس النبيلة

- السلطة الرابعة :

أصبح اليوم الكثير من السياسيين والصحفيين والباحثين يطلق على الإعلام إسم «السلطة الرابعة» حتى أن هذه التسمية أحدثت جدلا كبيرا حول معناها الدستوري والقانوني في الدول العربية.

ولقد نوقش هذا الموضوع في جمهورية مصر نقاشا طويلا وحادا بين الذين يعتبرون أن كلمة السلطة الرابعة يجب أن تحمل على حقيقتها أو مجازها، ومن أول من طلب أن يحمل اللفظ على حقيقته الأستاذ خالد محمد خالد الذي أخرج كتابا في سنة ١٩٦٤م جاء فيه (إننا لا نقلد أحدا فالتقليد حجر غير

مشروع على الرؤى الجديدة وعلى قوى الخلق والابتكار، تعالوا اذن نقم مجتمعنا الجديد على أربع سلطات، السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية وسلطة الصحافة، تعالوا نتوج دستورنا القادم بهذه المادة (الصحافة سلطة مستقلة لا سلطان عليها في عملها لغير القانون وليس لأية سلطة أخرى التدخل في حريتها) تعالوا ننشئ- للصحافة مجلسا أعلى، ثم يستطرد الأستاذ الأديب فيقول: (وإننا لنرى أنه اذا وضع هذا الاقتراح في بلادنا موضع التنفيذ الصادق الصحيح فإننا سنهدي الى كثير من دول العالم نموذجا جديدا لضمان حرية الصحافة في أي مجتمع اشتراكي يقوم على التأمين بل وربما في المجتمعات الأخرى التي لا تأخذ بالتأمين).

هكذا. كان رأي الأستاذ خالد ولم يأخذ به دستور ١٩٦٤م وكذلك لم يلتفت اليه دستور ١٩٧١م حتى وجد في سنة ١٩٧٥م الصدى الايجابي حيث أصدر قرار يوم ١١ مارس من تلك السنة يعتبر الصحافة كمؤسسة قومية يشرف عليها مجلس أعلى، وفي سنة ١٩٧٩م يسارع المجلس الجديد الى تعيين لجنة تعد مشروع تعديل الدستور باضافة فصل جديد اليه عنوانه «سلطة الصحافة» وتعد تلك اللجنة مشروع قانون الصحافة الذي أقر سنة ١٩٨٠م (القانون رقم ١٤٨).

ومن الناحية الأخرى. فالكثير من رجال الفكر والصحافيين كانوا يرون أن اللفظ يجب أن يحمل على مجازه

ويكتب الدكتور خليل صابات في مقال سنة ١٩٧٩م (هكذا كان تصور محمود عزمي للصحافة كسلطة رابعة، إنها في رأيه سلطة رابعة ليس بنص القانون ولا بمقتضى أحكام الدستور بل بإدراك الحكومة لأهمية الدور الذي تقوم به في تنوير الرأي العام وتبصيرها بالأخطاء التي يمكن أن تقع فيها وبالمخاطر التي تعترض طريقها لتأتي قراراتها سليمة تباركها جماهير الشعب وتؤيدها لأنها نابعة من الإرادة الحرة لهذه الجماهير).

وتكلم في الموضوع خلق كثير ولولا الاطالة لأوردنا مزيدا من الآراء حول هذا الموضوع المهم.

إنما كان همتنا أن نظهر أن كل الأطراف تعترف بأن الاعلام سلطة رابعة لها دور هام وحقل عمل واسع، إنما المشكلة كامنة في سيطرة الحكومة على الاعلام أو عدم سيطرتها.

فدور الاعلام هو أساسا تقديم الآراء والأبناء يقرأها الحكماء ليزدادوا علما بشئون الناس ويقرأها الناس ليزدادوا علما بشئون دنياهم.

والحاجة للرأي المخالف لرأي الدولة أشد إلحاحا الى الرأي الموافق «لا يسد الحاجة للرأي المخالف الا صحافة متحررة من إيجاء السلطة وتوجيهها» هكذا يقول الأستاذ مصطفى مرعي من أهم مؤيدي حمل لفظ السلطة الصحافية

على مجازه ويردد الأستاذ مصطفى مرعي عبارة «شاتوبريان»
«ليس الدستور هو الذي أعطانا الحرية انما هي حرية الرأي
التي أعطتنا الدستور، انها حسنة هذا الزمان حسنته الكبرى
التي لا تقوم بضمن».

- السلاح ذو الحدين :

الاعلام سلاح ذو حدين فكما يمكن أن يصلح الكثير
فيمكن أن يفسد أكثر وهذا - كما قدمناه - لسرعة نفاذه الى
عقول الناس ولدخوله كل البيوت ولما يحمله من قيم وعادات
تتنافى والقيم والعادات الاجتماعية ولما يجبر معه من تدعيم
الجريمة والسلوك العدواني.

ومعنى الاعلام سلاح ذو حدين انه يمكن أن يضر أو
ينفع ويمكن أن يفعل الاثنى في آن واحد.

والعالم العربي عالم مسلم في أغليته، والحكام كلهم
مطالبون بالمحافظة على قيم المجتمع العربي وعلى سلامته وأمنه
ومن هنا فهم مطالبون بالتصدي لكل من يحاول النيل من هذا
المجتمع، وهذا فرض واقع على عواتقهم تماما مثل الصلاة
والصيام، والاعلام - كما بيناه - يحمل الغث والسمين ويدخل
القيم والأخلاق الفاسدة ويحاول النيل من الحضارة العربية
الاسلامية بكل ما عنده من الحيل ﴿وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا
فَتَكُونُونَ سِوَاء﴾

ومن المشاكل التي تواجه الاعلام العربي سيطرة قوى الشمال على وكالات الأنباء وحتى أنباء الأقطار العربية كثيرا ما تأخذها الأقطار العربية الأخرى من الوكالات الشمالية ولا أحد يشك في صحتها. والحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ والوكالات الشمالية كلها مسخرة لسياسات الشمال ولأغراض حربه الحضارية، وكذلك الانتاج السينمائي والبرامج التلفزيونية فلو كانت وسائل الاتصال الجماعي العربية تتحرى قبل أن تأخذ شيئا من نظيراتها الشمالية وتتحرى قبل بث الأخبار الأمنية والمخيفة فعندئذ يجب أن تحرر من القيود ويترك لها مجال النقد الايجابي وممارسة دورها كمخبر للحكام عن هموم الناس وكمخبر للناس عن شئون دنياهم، لكن الاعلام العربي الآن لا يزال عنده قصور كبير ولا تزال قدرته الكلامية تفوق بكثير قدرته الفكرية وما زلنا نرى أن وسائل الاتصال الجماعي العربية ﴿واذ جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا﴾^(١)، ولما علمنا أن هذه الوسائل لها أثر اجتماعي قوي يمكنها من تلقين جمهورها كيف يفكر وكيف يتصرف وان هذه الوسائل لها قدرة ليس فقط على

١ - سورة النساء. الآية: ٨٣.

أن تعكس الرأي وانما أيضا على شكله وعلى أن يلعب دورا في تشكيل المواقف، وان صاحب الحكم - كما قال نابيلون - لن يكون شيئا مذكورا اذا لم يكن هو كل شيء وحتى يتسنى له ان يكون كل شيء يجب عليه أن يكون في كل شيء) لم تفاجئنا سيطرة التوجيه السياسي على وسائل الاعلام، وهذه السيطرة تظهر في التوجيه والتوظيف في الاتجاهات التي تهم السلطة التنفيذية والسلطة السياسية.

الاستنتاجات

لقد جاء في الاستراتيجية الامنية العربية التي أقرها مجلس وزراء الداخلية العرب في دور انعقاده الثاني مايلي: (تحصين المجتمع العربي ضد الجريمة بالقيم الأخلاقية والتربوية النابعة من أحكام الشريعة الاسلامية بما يعصم هذا المجتمع من الزلل والانحراف ويحول دون تأثره بالتيارات الفكرية المشبوهة والأنماط السلوكية المنحرفة الوافدة). فهذا وعي تام من أصحاب السمو والمعالى الوزراء إذ وضعوا ما قدمناه في البند الأول من مقوما الاستراتيجية الأمنية، وردوا قضية تفشي الجريمة ونشوء الميول الانحرافية الى أصلها: (ظهور الفساد في المجتمع وضياع القيم والاخلاق الحميدة وفهموا أن هذه الأسباب عائدة الى الحرب الحضارية التي تشنها قوى الشمال ضد وطننا العربي والتي يتسلل من خلالها كل من التيارات الفكرية المشبوهة وهيئات الجريمة المنظمة وأكد الوزراء ضرورة تكثيف استخدام وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمطبوعة في ايجاد وعي عام ضد التيارات الفكرية والمشبوهة والانحرافات السلوكية الوافدة وجميع صور الانحرافات الأخرى وترسيخ القناعة بضرورة التمسك بالقيم الروحية والأخلاقية والتربوية المثلى كما أكدت الاستراتيجية على ضرورة تشجيع نشر النتاجات الثقافية والفنية المستمدة من التراث الاسلامي العربي الأصيل.

وطالبت الاستراتيجية بفرض رقابة دقيقة على الاذاعة والتلفاز والرقوق السينمائية وأشرطة الفيديو والكتب والمجلات والصحف والمطبوعات الأخرى للحيلولة دون استخدام هذه الوسائل لنشر ما يخل بالأخلاق وتوقيع عقوبات رادعة على من تسول له نفسه القيام بأية محاولة من هذا القبيل.

هكذا. جاء في برنامج تنفيذ الاستراتيجية الأمنية العربية كيفية توجيه وتوظيف الاعلام العربي للحد من تفشي الجريمة ونشوء السلوك العدواني في وطننا العربي، ويقتضي هذا البرنامج اخضاع وسائل الاعلام الى الدستور والقانون لكبح ميولهم الى الثرثرة والى نقل النماذج الفاسدة والى عدم المبالاة بالقيم الروحية للأمة العربية مما يجعلهم يلعبون دورا هاما في تكوين ثقافات جزئية «SUBCULTURE» في جماعات اجتماعية عربية

وإنما نحن مجتمع ولله الحمد اسلامي . والمسلمون كما أخبر عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فتعالوا نصلح كل اعضاء مجتمعنا وأول ما نبدأ به وسائل الاعلام للدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه في اصلاح المجتمع فنضع لها قانونا عربيا موحدًا يجعلها في خدمة الحضارة الاسلامية العربية والقيم والنماذج النابعة عن تلك الحضارة

وفي نفس الوقت نعطيها حرية الرأي لتبصير الحكام بهوم
الناس ولإخبار الناس عن شئون دنياهم ويأخذوا لو أنشئت
وكالة عربية موحدة للأنباء تنقل أخبارنا لنا ولغيرنا لكي لا
تلعب وكالات الأنباء الشمالية بإعلامنا.

وإذا عملنا ذلك . فسوف نفتح طريقا للحد من تفشي
الجريمة والسلوك العدواني في مجتمعنا ونغلق الباب أمام الغزو
الحضاري الشمالي والتيارات المشبوهة ونعيد للجسم العربي
الاسلامي مناعته المفقودة، وعندئذ يتسنى لذلك الجسم بث
اشعاعه ونور حضارته الفذة الى أنحاء المعمورة.

ومن المعلوم أن استجابة المجتمع لتناول مشكلة الجريمة
أكبر منها لموضوعات أخرى وذلك لأنها تتعلق بأمن المجتمع
وسلامة كيانه . ومن الأدلة على ذلك أن أوروبا التي عبأت
مجتمعها ضد ظاهرة الارهاب صار افراد مجتمعها لا يرون
شخصا مشكوكا فيه أو كيسا مشبوها أو قطعة عفش تثير الريبة
الا بلغوا عن ذلك.

فالمجتمع العربي الاسلامي الذي حجب الله اليه الايمان
وزينه في قلوب أفراد . وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان
أحرى من غيره من المجتمعات أن يساعد في الحد من تفشي
الجريمة والسلوك العدواني اذا ما أصبح اعلامه يحبب ما يحب
الله ويبغض ما يبغض الله .

المراجع

أولاً : المراجع العربية

- ١ - أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد الى الجريمة . الدكتور أحمد الربايعة . المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب .
- ٢ - الأمة العربية والتحدي . الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي .
- ٣ - الأمن العام وأثره في بناء الحضارة وتحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي . الأستاذ أحمد ولد الطلبة . المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب .
- ٤ - الاستراتيجية الأمنية العربية .
- ٥ - الاستراتيجية الأمنية العربية لمكافحة المخدرات .
- ٦ - بين الصحافة والسياسة . الأستاذ محمد حسنين هيكل . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
- ٧ - التغير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية الدكتور صلاح عبدالمتعال . مكتبة وصية .
- ٨ - دراسة حول أفضل الوسائل والأساليب لمكافحة الارهاب وصيانة حرية وأمن الوطن العربي . الدكتور اللواء أحمد جلال عز الدين .

٩ - الراديو والتنمية السياسية الدكتور محمد علي العويني.
عالم الكتب.

١٠ - سياسة مكافحة الاجرام ودور البحث العلمي في
تخطيطها. محاضرة الدكتور أكرم نشأت ابراهيم.
أمين عام مجلس وزراء الداخلية العرب.

١١ - الصحافة والاقلام المسمومة. الأستاذ أنور الجندي. دار
الاعتصام.

١٢ - الصحافة بين السلطة والسلطان. الأستاذ الدكتور
مصطفى مرعي عالم الكتب.

ثانياً: المراجع الانجليزية

- 1 "Victim Compensation"; Meiners, Roger E. (Lexington Book, Mass., U.S.A. 1978).
- 2 "Violence and the Politics of Research", edited by William Gaylin, Ruth Macklin, Tabitha M. Powledge.

